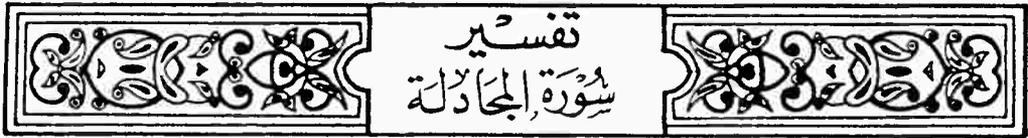


﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَبَعَثَ لَكُمُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم وإيمانهم بمحمد ﷺ ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ. في الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران». ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ﴿وَبَعَثَ لَكُمُ﴾ فضلهم بالنور والمغفرة.

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وهكذا رواه البخاري تعليقا.

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَابِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

روى الإمام أحمد عن خولة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً، قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل

علي، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثني فامتنت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي «يا خويلة، قد أنزل الله فيك، وفي صاحبك قرآناً»، ثم قرأ علي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 4] قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مرية فليعتق رقبة» قالت: فقلت له: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت: والله إنه لشيخ كبير، ما به من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكيناً، وسقاً من تمر» قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإننا سنعيته بفرق من تمر» قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعيته بفرق آخر، قال: «قد أصبت وأحسن فتذهبي فتصدقني به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً» ورواه أبو داود في كتاب الطلاق. ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، وعن ابن عباس: قال كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي حرمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكان تحتها ابنة عم له، يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط في يديه، وقال: ما أراك إلا قد حرمت علي، وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقني إلى رسول الله ﷺ، فأنت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال: «يا خويلة! ما أمرنا في أمرك بشيء» فأنزل الله على رسوله ﷺ، فقال: «يا خويلة أبشري» قالت: خيراً، فقرأ عليها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَسْمَأَسَ﴾ [المجادلة: 1، 3] قالت: وأي رقبة لنا؟ والله ما يجد رقبة غيري، قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: 92] قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره، قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: 4] قالت: من أين؟ ما هي إلا الأكلة إلى مثلها قال: فدعا بشطر وسق: ثلاثين صاعاً، والوسق ستون صاعاً فقال: ليطعم ستين مسكيناً، وليراجعك. وهذا إسناد جيد قوي. ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُنَّ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُنَّ﴾ أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمي ونحو ذلك لا تصير أمه بذلك، وإنما أمه التي ولدته، ولهذا قال: ﴿وَرِئْتَهُنَّ

يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴿١٠﴾ أَي كَلَامًا فَاحْشًا بَاطِلًا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أَي عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَكَذَا عَمَّا كَانَ مِنْ سَبْقِ اللِّسَانِ، وَلَمْ يَقْصِرْ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ قَالَ الشَّافِعِيُّ: الْعُودُ هُوَ أَنْ يُمْسِكَهَا بَعْدَ الْمِظَاهَرَةِ زَمَانًا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ فِيهِ فَلَا يُطْلَقُ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: هُوَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْجَمَاعِ، أَوْ يَعْزَمَ عَلَيْهِ، فَلَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى يَكْفِرَ بِهَذِهِ الْكُفَّارَةِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هُوَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الظَّهَارِ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ، وَرَفَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَتَى ظَاهَرَ الرَّجُلُ مِنْ أَمْرَاتِهِ فَقَدْ حَرَمَهَا تَحْرِيمًا لَا يَرْفَعُهُ إِلَّا الْكُفَّارَةُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ وَالْمَسُّ النِّكَاحُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ظَاهَرْتُ مِنْ أَمْرَاتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أَكْفُرَ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟» قَالَ: رَأَيْتُ خُلُخَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَ: «فَلَا تَقْرِبُهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أَي فِإِعْتِاقِ رَقَبَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ، فَهِيَ الرَّقَبَةُ مُطْلَقَةٌ غَيْرُ مَقِيدَةٍ بِالْإِيمَانِ، وَفِي كُفَّارَةِ الْقَتْلِ مَقِيدَةٌ بِالْإِيمَانِ فَحَمَلَ الشَّافِعِيُّ رَحْمَةَ اللَّهِ مَا أُطْلِقَ هُنَا عَلَى مَا قِيدَ هُنَاكَ، لِاتِّحَادِ الْمَوْجِبِ، وَهُوَ عَتَقَ الرَّقَبَةَ ﴿ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ﴾ أَي تَزْجُرُونَ بِهِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَي خَبِيرٌ بِمَا يَصْلُحُكُمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَذَٰلِكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَي شَرَعْنَا هَذَا لِهَذَا ﴿وَذَٰلِكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أَي مُحَارَمَةٌ فَلَا تَنْتَهَكُوهَا ﴿وَالِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَي الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَا التَّزَمُوا بِأَحْكَامِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْبَلَاءِ، كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتُونًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بِتَنْتِ الْكُفْرَيْنِ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣﴾﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الَّذِينَ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَانَدُوا شَرْعَهُ ﴿كِتُونًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي أَهْنَأُوا وَلَعْنُوا وَأَخْزَوْا كَمَا فَعَلَ بَعْدَ مَنْ أَشْبَهُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بِتَنْتِ﴾ أَي وَاضْحَاتِ لَا يَعَانِدُهَا وَلَا يَخَالِفُهَا إِلَّا كَافِرٌ فَاجِرٌ مُكَابِرٌ ﴿وَالِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أَي فِي مِقَابَلَةِ مَا اسْتَكْبَرُوا مِنْ اتِّبَاعِ شَرْعِ اللَّهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لَدَيْهِ.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ﴿٦٦﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ أي ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُوثٌ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُوثٌ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أي من سر ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي مطلع عليهم، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: 78] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: 80] ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْسِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَاكَ بِمَا لَوْ حِيَاكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٨١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى . . .﴾ كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادة، وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشبهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْسِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ أي يتحدثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختص بهم ﴿وَالْعُدُونِ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها، ويتواصون بها ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَاكَ بِمَا لَوْ حِيَاكَ بِهِ اللَّهُ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السام، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله لا يحب الغمش ولا

التغمش» قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوما سمعت أقول وعليكم؟». وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام واللعنة، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا». وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام، وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطل، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقوله في الباطن، لأن الله يعلم ما نسرره، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يُصَلُّونَهَا فِيْئْسَ الْمَصِيْرُ﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنِّرِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْرِ وَاللَّقَوِيِّ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنِّرِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ﴾ أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالا هم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْرِ وَاللَّقَوِيِّ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم، وسيجزيك بها. روى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أن قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة.

﴿إِنَّمَا التَّجَوُّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿إِنَّمَا التَّجَوُّى﴾ وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي ليسوءهم ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعد بالله، وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء بإذن الله. وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، كما روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه» أخرجاه من حديث الأعمش. وفي رواية «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه» انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ  
أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١)

يقول تعالى مؤدياً عباده المؤمنين، وأمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك أن الجزء من جنس  
العمل، كما جاء في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة». وفي الحديث  
الآخر: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في  
عون أخيه» ولهذا أشباه كثيرة. ﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم  
الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة، وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من  
المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر، وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول  
الله ﷺ، فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي ﷺ عليهم، ثم سلموا على  
القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما  
يحملهم على القيام، فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين  
والأنصار من غير أهل بدر: «قم يا فلان، وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام  
بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ  
الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: أستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما  
رأيناه قبل عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم، وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من  
أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك  
سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. رواه ابن أبي حاتم. وقد روى الإمام  
الشافعي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن  
تفسحوا وتوسعوا». وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من  
رخص في ذلك محتجاً بحديث «قوموا لسيدكم» ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث «من أحب  
أن يتمثل الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار» ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدوم من سفر،  
وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في  
بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذلك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله  
أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم. وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من  
رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته ذلك. وفي الحديث المروي في  
السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك  
المجلس. وقيل في قوله تعالى: ﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني في مجالس الحرب ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا  
فَأَنْشُرُوا﴾ أي انهضوا إلى القتال. ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي لا تعتقدوا

أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رفعة ورتبة عند الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكُمُ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ، أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتركيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ أي إلا من عجز عن ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها .

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكُمُ صَدَقَةٌ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكُمُ صَدَقَةٌ﴾ أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم . وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب، قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى رسول الله ﷺ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

يفول تعالى منكرأ على المنافقين الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر، لا معهم، ولا مع المؤمنين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن . ثم قال تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم، وهم اليهود . ثم قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني المنافقون يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أُرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالاته الكافرين، ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم . ولهذا قال تعالى :

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، واتقوا بالإيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي في مقابلة ما امتنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحائثة.

﴿لَنْ نُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَنْ نُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم، فلا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا، لأن من عاش على شيء مات عليه، وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة. ثم قال تعالى منكرأ عليهم حسابهم: ﴿أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال: «إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان، إذا أتاكم فلا تكلموه» فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال: «علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له، واعتذروا إليه، قال: فانزل الله عز وجل هذه الآية. ورواه الإمام أحمد.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ

الْمُفْسِدُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عز وجل، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه. وقد روى أبو داود عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية» (يعني صلاة الجماعة) ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان أنساهم ذكر الله. ثم قال تعالى: ﴿أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين لله ولرسوله، يعني الذين هم في حد، والشرع في حد، أي مجانبون للحق مشاقون له، هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ﴾ أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٦١﴾

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصر له وكتابته ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة، قتل أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ نزلت في الصديق، هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ نزلت في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ: ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ نزلت في عمر، قتل قريباً له يومئذ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ. ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي من تصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله له السعادة وقررها في قلبه، وزين الإيمان في بصيرته ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي قواهم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل لعميم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي هؤلاء حزب الله، أي عباد الله وأهل كرامته ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم وتصرفهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان وأنهم هم الخاسرون.